# عروس البحر

للشاعر الهندي رابندرانات طاغور

بقلم السيد فخري شهاب السعيدي

كان شاباً فتياً ، في مرآه قرة العين ، وابتهاج القلب ، وغبطة النفوس ...

وكان غرة قومه ، ووجه عشيرته ، يثنون له أعطافهم ، ويمهدون له أكنافهم ، ويؤثرونه بالحب والإيناس

وكان من حوله يستفزون نفسه الثائرة بأحاديث الزواج ، وما فيها للقلب من متعة ، وما في الطبع إليها من طمأنينة وارتياح

قال واحد من رسل الملوك إليه : « أما أميرة بهليك ... فما أجملها ! إنها لكالباقة من أزاهير الربى في الربيع ! »

ولكن الأمير الشاب أشاح بوجهه — وكأن لم يعلق الحديث منه بشيء — وما أجاب

وقال آخر : « ... وتلك هي أميرة كندهار .. زاهرة أنيقة ، وضاءة بهية ، كمثل وضاءة العنقود النضيد : »

ولكن الأمير الشاب ينساب في الغابة لا يخرج منها إلا بعد حين ...

وقال وصيف من سراي الملك — أبيه — : « ... جميلة أميرة كامبهوج جمال قوس الأفق عند انبثاق أضواء الفجر وأنواره ... وعيناها ... عيناها ناعستان حالمتان ، تلتمعان التماع قطر الندى الوضاء ! »

ولكن الأمير الشاب يستغرق في كتابه تصفحاً فلا يرفع عنه عينيه ولا يفيق !

* * *

واعتضد الملك الوالد بنجي[1] ابنه وعشيره يسأله عما انحرف بابنه عن الزواج وبغضه إليه !

فقال سمير الأمير : « أيها الملك الجليل ، لقد زهد الأمير في الزواج ما سمع عن عرائس الأمواه ، ولقد أقسم في سره لتكونن زوجه من عرائس البحر ، بنات الماء ... »

وأراد الملك أن يعلم من أمر هذه العرائس شيئاً ، فاستدعى إليه أهل العلم وأرباب الحكمة .. ولكن أرباب الحكمة لا يعرفون ... ولكن أهل العلم لم يَرْووا في كتبهم عن العرائس المزعومات شيئاً ! إنما هاتيك العرائس : عرائس الخيال الموهومات .. وكذلك قال رُوّادُ البحر من الهنود التجار !

فدعا الملك الشيخ إليه سمير ابنه ، يسأله عمن قصّ على ابنه هذا الخيال الموهوم ؟ فأجاب : إنه رجل يضرب في الآفاق مجنون ... وقد سمع منه الأمير ما سمع في الغابة حين كان يصطاد !

فأرسل الملك أعوانه في البحث عن هذا المتشرد المجنون ليحضروه إليه ... حتى وجدوه وجاءوا به إلى قصر الملك الفخم العظيم ! فسأله الملك عن

(١) النجي : الصاحب أو الصديق

بملكة عروس الماء أين تكون ؟ !

قال المجنون : إنها فيما يلى حدود الشمال من مملكتك أيها الملك العظيم ... عند سفح جبل « شيتراهى » حيث تنبع بحيرة « كاميا كا » ...

فقال الملك وهل يبصر المرء عرائس الماء هناك ؟

فأجاب الجائل المخبول : نعم ! في إمكان المرء رؤيتهن ... ولكنه لا يكاد يعرفهن لما يُحِطْنَ به أنفسهن من إبهام وغموض ... غير أنى أعرف العرائس الفاتنات بأصوات مزاميرهن الرائعة ... أو بقبس من شعاع لهن وهاج !

فغضب الملك من هذا الهذيان وقال : « إنه لمجنون ! قد أصابه مسّ من حياة التشرد والتجوال فاطردوه »

غير أن الأمير كان قد أصغى إلى ذلك الهذيان الجميل ... وقد علق بقلبه منه ما سمع ، فليس إلى طرده من سبيل ...

* * *

وجاء الربيع يكاد سنا حسنه يستلب العقول ... وانبثقت أزاهيره فى الغابة تملأها حسناً وعطراً ! فركب الأمير جواده وخرج ... فيسأله الأهل : إلى أين أيها الفتى النبيل ؟ إلى أين أيها الأمير الجميل ؟ ولكن الأمير ساكت لا يجيب ...

السيل يتدفق منحدراً من أعالى الجبل ثم ينصب فى البحيرة فيفيض ... وهناك ، هناك قرب الجبل فى المعبد المهجور كان الأمير يقيم !

ومرّ شهر ، والأمير فى معبده يرتقب ، وفى الشهر هذا اشتدت خضرة الزرع ، واكتست بوشاح من الزبرجد الزاهى الجميل !

وإن هذا لشهر جديد يكاد ينصرم .. والأمير فى مكانه لا يريم !

وفى ليلة من ليالى هذا الشهر أصغى الأمير الشاب إلى صوت مزمار خافت يطرق أذنيه كالصدى النائى البعيد ...

وفى اتجاه السيل المنحدر إلى البحيرة الجميلة كان اتجاه الأمير ... حيث كان مصدر الصوت الشعرى الرخيم ؟

وهناك ، كانت تجلس بين أزهار «اللوتس»[1] حورية من بنات البحر عرائس الماء المنشودات

إن شعاعاً عبقاً كان ينبثق من زهرة من من زهور « السيرش »[2] في مفرقها الجميل

* * *

فترجل الأمير عن جواده ، ودنا إلى الحورية فى استحياء يطلب منها تلك الزهرة الجميلة العبقة .. فرفعت رأسها ترنو إليه ثم سحبت زهرتها من شعرها وقدمتها قائلة : « إنها إليك »

ثم سألها الأمير : وأى ملكة أنت ؟

فبدت على وجهها علامات الدهش والانكار ثم قهقهت فى ضحكات متزنات كالأنغام .. كان لها رنين فى قلب الأمير الشاب .. لقد ظن الناس تلك الضحكات مزامير . لشد ما يخطئون ...

ثم ركب الأمير جواده ، وأردفها خلفه ومضى يحث السير !

وهما على ظهر الحصان همس الأمير فى أذنها أن اخلعى عنك النقاب .. واذكرى اسمك الكامل

فأجابت : إن اسمى ؛ كا كارى ... وأما القناع

(١) زهور هندية معروفة لم نجد لها فى اللغة ترجمة !

(٢) ليس في العربية وصف كهذا ولكن أمانة الترجمة اقتضت نقله ، على أن فيه معنى يدركه بعض الذين تيمهم الجمال

فما كان قد انكشف كما أراد !

وهنا قال الأمير : وجهك ... أرنيه ... إنني في حاجة إلى استجلائه أيتها الملكة الحسناء

ولكنها قهقهت في ضحكات كالأولى كان لها في قلبه الملتاع وقع ورنين

ثم وصلا إلى المعبد القديم المهجور ... فعلن الخبر وذاع ؛ وسمع الملك الشيخ بزواج ابنه الأمير فأرسل إليه الجند والخيل والفيلة والعربات ، في معبده المهجور !

* * *

— واليوم يا « كاكارى » ستذهبين إلى القصر.

ولكنها لم تجبه ، ولكن في عينيها كان الجواب .

لقد كانتا دامعتين ، طافحتين بالدموع ، تستعبران !

لقد هاجتها الذكرى ... وأثارت ما في نفسها من شجون ...

ثم قالت : « بل أنا لا أستطيع الذهاب ... أيها الأمير المحبوب ! »

ولكن ضوضاء القادمين وجلبتهم غلبت صوتها الواطئ الضئيل ، وسارت إلى قصر الملك الفخيم !

* * *

فرأتها الملكة فقالت : وأى أميرة هذه تكون ؟

ورأتها ابنتها فقالت : يا للعار ! !

ورأتها من وصائف القصر واحدة ، فقالت : انظرن إلى رداء الأميرة الخلق ... لا بأس عليها فإنها ممن لا يحتجن إلى الثياب إذ أنها من عرائس الماء !

ولكن الأمير أسكتهن في حنق وغيظ شديد .

وقال :

« إن الأميرة قد جاءت متخفية في هذه الأطمار ... »

ولكن أصوات الهزء إن خفتت فلم تنقطع ، أو انقطعت فإلى حين ؛ وكان الأمير إذا سمع ذلك يهيج ويغضب لأنهم لا يشاركونه شعوره نحو هذه الأميرة ابنة الماء ؟ !

ومضت الأيام : والأمير على ما وصفنا ، وأهلوه على ما ذكرنا ، وزوجه على حالها لم تتغير ، ولم تلق عنها نقابها البغيض المكروه ...

ولكن الأمير يؤمل وينتظر ، وهو الآن يكتفى بالأمل والانتظار ...

* * *

وإنه لجالس مع « عروس البحر » يسامرها إذ سألها عن مدى لبس هذا القناع البغيض ؟ فقالت : « بل سيكون لذاك أيها الأمير مدى معلوم ، ولكن تَرَيّث الآن »

فأجابها : إذن فسيكون ذلك في قمر الشهر المقبل أيتها الأميرة الحسناء ! !

* * *

إن قمراء[1] البدر قد اكتملت وضوحاً وقوة ، فهى الآن تملأ البيد ، وتغسل الحقول ... وتسيل على الأرض فتغطى على كل ما فيها ... حتى تلك الغرفة ، وذلك السرير ! !

ولكن أين كاكارى ... أين الأميرة ابنة « البحر الحسناء » ؟ !

... لقد غابت ، إذ رفعت عنها القناع ! !

« بغداد » فخرى شهاب السعيدى

---

(١) قمراء البدر نوره